سمي يوم محكمة التفتيش .. لكن ما ان يحدق فيه حتى يهرب من وجهه وقد فصل سواد ظلامه شيب بياض من هول الموقف .. ، ويحاذيه يوم تجارة العبيد ، وكان فيه الانسان سلعة تباع وتشترى ... تماما كقطعة من قماش ، وكجزء من محراث عتيق .. والذي لولا ابراهام لنكولن ، لكانت الكثرة الكثيرة من الناس ، وفي جملتهم العدد الغفير من حملة الاقلام ، محرري الانسان من ظلام القرون الخالية، واوهام العصور الماضية، ممهدي سبيل المعارف ، نهوضا بانسانية الانسان ، وتساميا بمعنى الانسانية ، لكانوا ، ويا لفاجعة هذه الكينونة ، وفي عدادهم ، صاحب هذه الكلمات ، مشدودين في سوق النخاسة من تجارة العبيد .. ومع ذلك ، ومـا ان تفرس يوم تجارة العبيد ملامح يوم شهداء الشاعر حتى لحق بيوم محكمة التفتيش اختفاء بزاوية من زوايا التاريخ انكماشا على نفسه ، واستصغارا لهذه النفس . وما علينا بعد هذا التقديم الا ان نسلم القارىء لقـوافي الشاعر تروي له هذه المأساة :

يوم اطل على العصور الخاليـه ... ودعا : امرءً عـلى الورى امثاليـه ؟
فاجابه ، يـوم اجل انا راويـه ... لمحاكـم التفتيش ، تلك الباغيـه
ولقد شهدت عجائبا ... وغرائبـا
لكن فيـك مصائبا ... ونوائبـا
لم الق اشباها لها فـي جورهـا ... فاسأل سواي وكم بهـا من منكـر
واذا بيوم راسف بقيـوده ... فاجاب والتاريـخ بعض شهوده
انظر الى بيض الرقيـق وسوده ... من شاء كانـوا ملكـه بنقـوده
بشر يباع ويشتري ... فتحـررا
ومشـى الزمان القهقرى ... فيما أرى
فسمعت من منـع الرقيق وبيعه ... نادى على الاحرار يا من يشتري..

وما يزال يستعرض سود الايام في مدلهم الليالي حتى يصل الـى ساعاته الثلاث الرهيبة ينطقها بلغة هي نجوى ارواح شهدائه ، ومشافهة النفس البشرية مباشرة كأنما ليس بينها وبين الشاعر تلك الحجب الكثيفة الصفيقة من مادة التراب التي هي اللحم والعظم ، فتنطلق الساعة الاولى ـ اي ساعة الشهيد الاول ـ تترجم عن نفسها :

انا ساعـة النفس الابيـه ... الفضـل لـي بالاسبقيـه
انا عبـر سـاعات ثـلا ... ث كلهـا رمز التحميـه
بنـت القضيـة ان لـي ... أثـرا جليـلا فـي القضيـه
اودعـت مـن مهـج الشبيبة ... نغمـة الروح الوفيـه ....

فتنبري الساعة الثانية مفاخرة اختها :

انـا سـاعة الرجـل العتيـد ... انـا سـاعـة البـاس الشديـد
انا ساعـة المـوت المشـر ... ف كـل ذي فعـل حميـد
بطـلي يحطـم فيـده ... رمزا لتحطيـم القيـود
زاحمت من قبـلي لاسـبقها ... الـى شـرف الخـلود
وقدحت في مهـج الشبـاب ... شرارة العـزم الوطيـد ...

وهنا تطل الساعة الثالثة ، مدلة على الزمن ، مشرفة في جبين التاريخ:

انا ساعة الرجل الصـبور ... انا سـاعة القلـب الكبيـر
رمز الثبـات الـى النهـا ... ية فـي الخطـير مـن الامور
بطلـي اشـد على لقـا ... ء الموت مـن صـم الصخور
جـذلان يرتقـب الـردى ... فاعجـب لموت في سرور ...

الى اخر تلك الاناشيد الثلاثة التي تكاد لقدسيتها لا ترقى من الارض الى السماء ، وانما تنزل من السماء الى الارض .. والشاعر منذ كان الشاعر صنو النبي ، وخدين الرسول ، سيما اذا كان صاحب قضية ، وحامل رسالة ..

مدنا اللهم بروح من ابراهيم .. وتبارك اسمك الكريم

بيروت — نديم مرعشلي

في اعماق الليل

الشمس وراء الغيم
بقعة دم
والسحب سطور مضطربه
في افق معتـم
و انا ابحث عن انسان
يشرق وسط سمائي

✶

البحر سجين خلف الامواج الزرقاء
اسوار تفرسها الريح تخفي أصداف الاعماق
ما اروع ان ترتاد الآفاق
وتشق طريقا عذراء
وتغوص الى نفس بشريه .
جفت خلف جدار الوحده
تسكب فوق اساها بسمه
فتذوب الجدران
وأنا ابحث عن انسان
ينفذ في اعماقي
يحمل بسمة

✶

بابي يبسط بالود ذراعيه
ويعانق من يخطو نحوه
يحتضن جداري جنبيه
وبساطي يدفىء اقدامه
لكني أمضي مقرور القلب
ابحث عن انسان
يدفئني وده

✶

قلبي اعصره للساري بين الاشواك
واوسد صدري احزان رفاق المأساة
لكني ابحث عن انسان
يحمل عني احزاني .

✶

النجم باسفار الليل رفيقي
والليل طويل
في كل حفيف تحمله الريح
اتنسم انفاس صديق
والدرب طويل
وانا ابحث عن انسان
يؤنس بالليل طريقي

✶

في اعماق الليل ينام الفجر
بساعات ثم يقوم فينفض ثوبه
من يشعل بالليل سراجا يلقي الفجر
وانا ابحث عن انسان
لا ينتظر الصبح
بل ينفذ بين ثنايا الليل ويوقظ فجري .

القاهرة — محمد البخاري